مُناقشَات

حول ((العروض العربي بين الكم والارتكاز))

بقلم ملك عبد العزيز

أحب اولا ان اقرر انني ـ كاكثر من يكتبون الشعر ـ لاأصبر على بحوث العروض ، وان كنت قد صبرت عليها مرة في مقالي ((حول اوزان الشعر الحر)) فانني اضيق بها في اكثر الاحيان . ولكني رغم ذلك رأيتني في حاجة الى أن اعلق على مقال الاستاذ الحساني حسن عبد الله المنشور في عدد ايلول تعليقا قصيرا .

واول مالفت نظري هو اللهجة الجديدة التي كتب بها الاستاذ الحساني مقاله الاخير ، ففي مقاله الاول ((نازك وعروض الشعر الحر)) كان يخاطب نازك في كثير من الادب فيقول ((فهل تقبل الشاعرة المعروفة من كاتب غير معروف ان يقول لها : نازك ، ان في شعرك غلطة)) ولعل هذا الاسلوب المهذب هو الذي شجعني على مناقشة ارائه . فاذا به في مقاله الاخير يتحدث عن احد اساتذة الجيل الكبار بلهجة عجيبة لاتحمل ماينبغي من احترام وتوقير ، فيقول ((والمقطع هو الداهية الكبرى)) التي تسلطت على عقل الدكتور مندور)) كما يقول ((ولكنه في غمرة ((حمى الاختراع)) والتجديد وتوليد النظريات ((بالعافية)) يرفض ان يبحث..)) وامثال تلك العبارات .

ولكني اقول للاستاذ الحساني حسن عبد الله الطالب بدار العلوم : انتظر قليلا حتى تتعلم ماتعلمه الدكتور مندور ، وتدرس مادرسه ، وتنفق ايامك ولياليك في دراسة اللغات القديمة والحديثة وفقهها ، ثم تحدث بعد ذلك بما يمليه عليك ادبك الجميل وذوقك المرهف .

ولعل هذه الطريقة الجديدة في المناقشة قد حملته على كثير من التسرع وعدم الدقة ، فانساق في فرحة غامرة يلقي الاحكام ويسفه العارفين .

لقد ادهشني ايضا تنصله من انه في مقاله السابق كان يستخدم الطريقة الحديثة كما شرحها الدكتور مندور في ((الميزان الجديد)) في مناقشته لموسيقى الشعر ، كأني قد نسبت اليه جريمة !! مع انه جعل هذا الكتاب احد مراجعه ((هامش ص ٥٣ عدد حزيران)) . كما انه خلال هذا المقال اكثر من استخدام كلمات ((المقطع الطويل والمفتوح والمغلق والمقطع القصير والكم والارتكاز والتعويض)) وهي كلها اصطلاحات لم ترد كلها او بعضها في كتاب بالعربية الا في كتب الدكتور مندور او الدكتور ابراهيم انيس . او لعلها وردت في كتب الخليل ونحن لاندري!! واظنني لست بحاجة الى ان اعيد نقل النصوص التي وردت فيها هذه الالفاظ فهي تملأ صفحات ٥٢ ، ٥٣ من عدد حزيران .

بل ان كل الابيات التي وزنها السيد الباحث في هذا المقال ، قد وزنها بطريقة المقطع الحديثة ايضا ، ولم يزنها بطريقة الاوتار والاسباب التي نسبها للخليل ، ولا بطريقة الساكن والمتحرك التي جرى عليها وزن الشعر العربي في كافة عصوره حتى اليوم ، وهذا فقط ماكنت اعنيه بقولي انه يتبع الطريقة الحديثة . اما انني كنت اسند اليه ايمانه بنظرية الدكتور مندور في الكم والارتكاز فذلك شرف لم يخطر ببالي ان يناله الدكتور مندور من السيد الباحث الكبير !!!

ويقول السيد الباحث ان الخليل قسم الكلام او الشعر الى الاوتار والاسباب وانه لذلك لم يكن بحاجة الى ان يتحدث عن المقطع او يشير اليه ، ولكن ، من أي شيء تتكون الاسباب والاوتاد ؟ الم يشرح الخليل مم تتكون حتى يفهم الناس اصطلاحه ؟ الم يشرحها بانها تتكون من حركتين فساكن مثلا او حركتين يفرقهما ساكن او غير ذلك ؟ واليس يعني هذا رجوعا الى الحركات والسكنات التي سارت عليها دراسة العروض حتى اليوم ؟ وهذه الاسباب والاوتاد التي قال بها الخليل الا تتكون من مقاطع ؟ فهل ترانا خرجنا عن جادة الصواب اذا قلنا ان المقطع هو وحدة الكلام ، وان الخليل لم يهتد اليه لانه بالفعل لم يذكره . وهل يظن الكاتب الفاضل اننا ننتقص من قدر الخليل حين نقول هذا القول ؟.. نحن ونحترم الخليل ، ونحترم كل ماقام به القدماء من بحوث في اللغة، وهذه هي الروح (١) التي كتب بها الدكتور مندور كافة بحوثه في العروض العربي ، ولكن ليس معنى ذلك ان نقدسهم ونقول ((ليس في الامكان أبدع مما كان)) لان التفكير بهذه الطريقة هو الذي اوقعنا في عصور التخلف الماضية التي ماتت فيها اللغة ومات التفكير وانتشرت الخرافات ، بعد ان اقفل باب الاجتهاد ، وتحكيم العقل في استنباط الاحكام التي تناسب روح العصر .

واذا كان صاحب العقد الفريد قد اهتدى حقا الى بعض ما اهتدى اليه الدكتور مندور في بحثه بكلمة ألقاها عرضا في احد كتبه ، فهل معنى هذا انه كان عليه ان يكف عن استخدام وسائل العلم الحديثة للتثبت مما قاله القدماء . وهل اذا كان القدماء قد قاسوا المسافات بالنظر او استمعوا الى القلب بالاذن الا يحق لنا اليوم ان نستخدم الوسائل والاجهزة الكهربائية الحديثة ؟... على ان الخليل نفسه وهو أبو العروض لم يذكر ان موسيقى الشعر لاتضطرب الا اذا حدث تغيير في الاوتاد ((او النواة الموسيقية)) كما ذكر الدكتور مندور وهذا الرأي هو خلاصة بحثه . بل اغلب الظن ان احدا لم يكن ليلتفت الى ما قاله ابن عبد ربه لولاالبحث العلمي الذي قام به الدكتور مندور ، لان ابن عبد ربه لم يكن باحثا منهجيا ، بل كان يلقي ملاحظات متفرقة . ولو كان التفت الى هذه الملاحظة احد من قبل لدخلت في صلب علم العروض ولتداولتها كتبه .

على ان الاستاذ الحساني يمعن في خطئه حين يحمله اعتداده وفرحته بنفسه على الوقوع في اخطاء ماكان اغناه عنها . فهو يجزم في ثقة يحسد عليها بان اصطلاح النواة الموسيقية ليس الا سرقة لاصطلاح الوتد المجموع ولكن الدكتور مندور يقول ان النواة الموسيقية ـ التي ينكسر الشعر اذا لحقها تغير ـ تتكون من مقطع طويل ومقطع قصير متجاورين، وعلى المقطع الطويل يقع الارتكاز وكلمة ((متجاورين)) لاتعني لغويا انيكون المقطع الطويل قبل القصير بل قد يجيء بعده ، وبذلك لاتكون النواة الموسيقية هي الوتد المجموع كما جزم السيد الحساني ، بل قد تكون الوتد المفروق ايضا .

كما انه ادعى ان الدكتور مندور قد ((انخدع بما يبعثه اطلاق

---

(١) كتب الدكتور مندور في كتابه ((الميزان الجديد)) ص١٨٨:((ليس من شك في ان الخليل بن احمد كان رجلا عبقريا نفخر به مع من نفخر من اجداد ، ولكن العلم لايعرف الوقوف الخ ....))

الاحكام من الاعتداد بالنفس .. فيقول ان نواته تلك تتكون في الشعر العربي « اطلاقا » من مقطع طويل ومقطع قصير متجاورين » .

ولكن لسوء الحظ ان الدكتور مندور كان اقرب الى تواضع العلماء وتحرجهم من تلميذه النجيب . فهو يصرح (١) تصريحا واضحا لا لبس فيه بانه اجرى تجاربه على ثلاثة أبحر من الشعر العربي فحسب بمعمل الاصوات بباريس وهذه الابحر هي : الطويل والبسيط والوافر . وهو لم يعمم نتائجه على الشعر العربي كله ، بل انه كان يتوق الى ان يتمم بحثه بعد عودته من بعثته وكان هذا أمله حين كنا تلاميذ له في كلية الاداب ، لولا ان الكلية لم تجد المال الكافي في ذلك الوقت لاستحضار معمل للاصوات ، ولعل الاستاذ الحساني وهو طالب نابه بدار العلوم ومهتم بالعروض ان تتيح له كليته دراسة عليا في هذا الفن مصحوبة ببعثة في دراسة فقه اللغة ، وان ترسله ليجري تجاربه في معمل للاصوات بالخارج ، او ذلك الذي سمعت انه قد احضر مؤخرا بجامعة الاسكندرية، فلعله عندئذ يتم جهود من سبقوه بدلا من ان يحاول تحطيمها ، ولعله يقدر جهادهم ، ولعلنا عندئذ نستطيع ان نستمع اليه في تقدير حتى اذا حلا له ان يعارضهم .

على ان هذين الخطأين اللذين وقع فيهما الاستاذ الباحث قد جعلاه يرى ان بحر الخبب خال من النواة الموسيقية في مثل قول شوقي :

« مضناك جفاه مرقده » لان التفعيلتين الاولى والثالثة لا تحتويان على تلك النواة « كما فهمها الباحث » . ورغم ان بحر الخبب ليس من تلك الابحر التي درسها الدكتور مندور ، فان الاستاذ الحساني لو تأمل التفعيلتين اللتين اشار اليهما لوجد بهما نواتين موسيقيتين هما « ناك في مضناك » ـ باعتبار الهاء مشبعة الضم ـ في مرقده » ذلك ان الدكتور مندور كما سبق ان اسلفنا قال ان النواة تتكون من مقطعين متجاورين احدهما طويل والاخر قصير ولم يحدد ايهما يسبق الاخر ، لان كلا من الحالتين صالحة لتكوين النواة الموسيقية .

ثم ان الاستاذ الحساني تجرفه الحماسة فيقول « ان الارتكاز وعدم الارتكاز طريقة عرجاء لادراك الايقاع في الشعر العربي » ثم يعود فيناقض نفسه بعد سطر واحد حين ينقل قول الدكتور ابراهيم انيس عن طبيعة الانشاد فيقول « مراعاة التفعيلات في الوزن واعطاء النبر « اي الارتكاز » حقه من الضغط ومراعاة النغمة الموسيقية » .

اما مماراة الاستاذ الحساني في قواعد الارتكاز اللغوية فأمر من الصعب مناقشته فيه ، لانه من السهل ان ينطق الكلمة بالطريقة التي تعجبه هو ثم يقول هكذا ينطقها الناس . ومن هذا قوله ان الارتكاز على ميم « مسامير » لايزيد على الارتكاز على ميم « مسمير » . كما انه يظن ان هناك تناقضا في قول الدكتور مندور ان الارتكاز لايقع الا على المقطع الطويل في حين انه يعترف بوقوعه على الميم في مسمير . ونسي ان قول الدكتور مندور الاول ينصب على الارتكاز في الشعر فحسب ، وهو الذي لا يكون الا على المقطع الطويل . اما في الكلام العادي فمن الجائز ان يكون على مقطع قصير لان بعض الكلمات قد تخلو من اي مقطع طويل، وان كان بالبداهة ان يكون ارتكازا اساسيا في كلمة مثل مسمير بل ارتكازا ثانويا ، لان الارتكاز الاساسي سيكون على المقطع الطويل« م » ، وكل هذه الحقائق تسجلها الرسوم الكهربائية التي تنتج عن الذبذبات الصوتية امام اجهزة الاصوات ، فالذبذبة القوية الناتجة عن الارتكاز الاساسي تحدث في اوراق التسجيل خطا أطول وأعمق مما يحدثه الارتكاز الثانوي ومما تحدثه الحروف العادية الخالية من الارتكاز .

وبعد ، فلن أستقصي كل ماقاله الاستاذ الحساني وأملته عليه حماسة الشباب وفرحته ، فحسبي ماذكرت ، ولكني سأشير الى مسالتين صغيرتين تتعلقان بشخصي الضعيف . فقد ذكر الاستاذ الباحث انني أبرر استخدامي لمفاعيله في بحر الرجز بانها عودة لكم التفعيلة الاصلية فلماذا اذن لم استخدمها بنفسها . ولكني اقول انني لم ابرره بذلك بل بررته بحاجات نفسية هي التي تدفع الشعراء كافة الى استخدام التفعيلات المزحفة بدلا من الاصلية ، ولكني اضفت ان الاذن لاتنبو عنها لانها من ناحية تساوي التفعيلة الاصلية في الكم ، ومن ناحية اخرى وهذا هو الاهم انها اقرب الى الاصل وزنيا من كثير من زحافاته . وفي الحق انني حين استخدمتها لم تكن في اذني مفاعيلن بل متفعلن اي بتشديد اللام وهي كما ترى قريبة جدا من متفعلن لولا الثقل الذي يلحقها ، وهي اقرب من مفتعلن وكذلك فعلتن التفعيلتين المزحفتين المعترف بهما .

كما ان الاستاذ الذي ينكر الحاجات النفسية للشاعر يقول في مفتتح مقاله « ان التجديد في موسيقى الشعر لا يقتصر لذاته ، ولكن المقصود منه قبل كل شيء فتح افاق جديدة للتعبير ، على انني لم أؤيد كل تجديد أو خروج على القواعد الا اذا استند الى اصول موسيقية ونفسية عامة يمكن اقرارها .

وأخيرا فاني أبشر الاستاذ الحساني بأني لن اعود لمناقشة مسائل العروض ، لاوفر وقتي وجهدي لاشياء اجدى علي واقرب الى نفسي وان كنت اتمنى على الله ان يتحقق ماتمناه الاستاذ ساخرا من ان يدخله في زمرة الشعراء ليستطيع ان يفهم حاجاتهم النفسية ، فانني اعتقد اعتقادا صادقا ان اي ناقد حقيقي لا بد ان يكون قد عانى تجربة الانتاج

(١) ص ١٩١ من كتاب « في الميزان الجديد »

يصدر هذا الشهر

الآكلون لحومهم

مسرحية للكاتب العربي

مطاع صفدي

وهي اول جزء من سلسلة (الكتاب الازرق) التي تتناول مشكلة انبثاقة الانسان العربي فكريا وفنيا ووجوديا

وتصدرها دار (الفكر المعاصر) بدمشق
ص.ب. ٢٦٦٨

الفني شعرا او نثرا ولو لبعض الوقت ليعرف حاجات النفس الانسانية حين تتهيأ للخلق .

وبعد ، فاني احب ان أهمس للباحث الفاضل بان الطريقة التي كتب بها مقاله هذا لم تكن الطريقة التي يجمل بطالب نابه ان يتحدث بها عن اساتذته الكبار أمثال الدكتور مندور ، وان من أملى عليه تلك الالفاظ الجارحة او نصحه بها لم يكن بناصح ولا أمين ..

القاهرة — مالك عبد العزيز

الى السيد عادل الهاشمي

بقلم محيي الدين محمد

في مقالك تناقض هام احب ان الفت اليه النظر :

تقول : « واخيرا ، هل من الكرامة والعزة في شيء ان نقول ونردد — ونحن امة العدالة والحرية في الفكر والحكم — اننا لم نتنسم اريج حرية الفكر منذ الفي عام ..؟ ان من يقول ذلك مفتقر الى دليل . وما لمسنا دليلا . أما الدلالة على تمتع امتنا بحرية الفكر فتفوق الحصر وتملأ اسفار التاريخ .. » (انتهى قولك) .

وذلك يعني ان الامةالعربية كانت وما زالت مجتمعا حر العقيدة مفتوحا للنقد والنقاش ، وطرح الاراء العقلية او الملحدة وغير الملحدة ، وان انعدام الشهداء كان بسبب من وجود حرية الفكر .

ثم تقول : « وعلى مدى العصور ، وفي عصرنا الحاضر شهداء لنا كثر في سبيل حرية الفكر وابطال مناضلون .. » (انتهى ..)

وذلك يعني ان الامة العربية كانت سجنا طويل الامد للمفكرين الاحرار والملاحدة . اي كان هناك شهداء فكر اضطهدتهم الدولةالاسلامية وعاقبتهم وعذبتهم ، وذلك يؤكد عدم وجود حرية فكر ..

فاي القولين — من فضلك — تريد ان تثبت ، لنستطيع محاجاتك .؟!

وشيء اخير ،ود ان اجلوه نهائيا بالنسبة لك وبالنسبة للسيد احمد صدقي الدجاني، ومن يشايعكما الرأي ، ويحب ان يطلق علي اوصافا مسلية للغاية ..

ان حضارتنا الشرقية كانطلاقة ، كانت موجودة بتأثير التيار العقلي اليوناني ، ثم همدت لظروف متعددة اهمها ان الذهن الشرقي لم يتحول كلية وجذريا من تيار الزهد والاسطورية الى التسليم بالواقع الرياضي والعلمي الحقيقي . بل كان تطوره قمميا ، ولم تكن اساسه القاعدة في اعم اشكالها واوسعها .. نحن نعلم ان العرب عرفوا الكيمياء والفلك والجبر وحساب المثلثات ، ولكن منطق الحقيقة والانصاف يجعلنا نقول ان حركة الترجمة عن اليونانية هي التي حولت الذهن العربي هذا التحويل الى العلم ، ويكفي ان نورد مقالا صغيرا على ذلك ببعض الكتب التي ترجمت : الفيزيقا لارسطو . رفع الاثقال لايرن . الالات المصوتة على بعد ستين ميلا لمورتس . هيردن الصغير في الالات الحربية . قتنزينيوس وهيرون الاسكندري في الالات المفرغة للهواء والرافعة للمياه . هذا عدا كتب الموسيقى والاصوات والفلك والرياضيات التي ترجمت بأكملها ، بل ان الدستور العلمي ذا الاحكام التسعة الذي وضعه (اخوان الصفاء) الذين تستشهد بهم — ليس الا النص اليوناني للمقولات العشر المسماة (كاتيجوريـاس) . .

لقد كان الذهن العربي احتوائيا وخالقا . ولكن مقدار الخلق فيه كان اضعف بكثير من مقدار المخزون الذي اضيفت اليه مقادير قليلة من شخصيتنا الذاتية ، وكان ذلك لان العلم كف عن ان يصبح حركة وتيارا، وصار كهانة واجتهادا . وان القول بان القرآن هو الذي خلق فينا وعينا العقلي ، كلمة جميلة وشعرية للغاية ، تحتاج من الاقناع المنطقي اكثر مما تحتاج الى الترديد الببغائي واستيراد جمل من المستشرقين وجوستاف لوبون خاصة .

ان الغرب ذكور واناث . والشرق العربي ذكور واناث ، فاذا طالبنا بان نتشبه بهم كبشر تحولوا من عقلية العاطفة الى عقلية الذهن ، فليس من اجل ان تصيح انت والدجاني :

واسلاماه !! لقد حل علينا الكفر والبلاء!!

بل من اجل ان يكون تاريخنا الراهن اعظم وانظف واروع من ماضينا القديم .

تقول ان التشريع الاسلامي عقلي . وانا اقول لك انه منذ كان التشريع وكانت اصوله ، وحتى الان ، ما زال العربي فقيرا ومريضا لم يتقدم خطوة واحدة ، ولا تقل لي ان ذلك ليس عيب التشريع وانه عيب المطبقين ، لئلا اقول لك ان النظرية لو عسرت على التطبيق يصبح الخطأ فيها اولا قبل كل شيء .. عندما ننادي بزرع عقلية العلم والاشتراكية في ارضنا ، لااخون بلادي ولا احب لوجهها الجميل ان يكون نسخة من انكلترا او فرنسا ، بل احب قبل كل شيء ان استفيد من خبرات الغرب التكنولوجية في القفز بمستوى المعيشة في وطني الى مستوى الغربي واحسن ..

ولا تنس ان العلم ليس وقفا على امة او وطن او جماعة . انه رموز سحرية انسانية تفتح المغاليق وتكشف الغوامض . لقد نقله الصيني بدون ان يفقد صينيته ، ونقله الروسي بدون ان يفقد روسيته .

ان الحضارة هي بناء يشد ازره الماضي والحاضر والمستقبل . هي مخطط عقلي وهادف . له اصول ومنطق وطريقة ، فاذا اردنا بناء امتنا من جديد وعلى اسس عصرية ، فلن يسعنا ذلك اذا القينا بتراثنا في المحيط ، ولن يمكننا ان نتحول الى الغرب كلية لاننا في هذه الحالة معرضون لفقدان وجهنا الروحي الذي نتميز به ، وحضارتنا الخاصة بنا جدا ، واذن فما هي الطريقة المثلى لتحويل ذهننا من واقعه الاسطوري الى واقع علمي ، اذا كانت عودتنا الى ماضينا لاتحقق ذلك ..؟

١ — ان النقطة العقلية التي انطلق منها الغرب والشرق كانت الذهن اليوناني .

٢ — انطلق الغرب من تلك النقطة بالذات ووسع فيها الى منتهى حدودها ، وذلك بعد ان جمدت المسيحية لفترة طويلة ذلك النشاط العظيم ..

٣ — سكن الشرق في هذه النقطة مدة (حركة الترجمة واحياء العلم) ثم التفت كلية الى الزهد .

٤ — اذا شئنا ان ننطلق مرة اخرى ، فمن اين تبدأ هذه الانطلاقة .؟ هل من الذهن اليوناني القديم، ام من تاريخنا العلمي المحول من اليونان ، ام من الغرب مباشرة ...؟!!

اخشى لو طرحت ردا على هذه المشكلة الهامة للغاية ان يكون مقالي في العدد الممتاز (الادب الثوري) غير ذي موضوع ، لانه الروح التي كتب من اجلها المقال .

اما اولئك الذين اثاروا زوبعة حول مقالي (مشكلة حرية الفكر) ، فاعترف ان واحدا منهم لم يفهمه جيدا ، واعذرهم في ذلك ..

القاهرة — محيي الدين محمد

« النور بالثمن » ايضا ...

بقلم عايدة مطرجي ادريس

فرأت رد الاستاذ سمير نير على نقدي لقصته « النور بالثمن » فرأيت أن اوضح الامور التالية :

يقول الاستاذ سمير ان القصة ، كما تبدو من خلال نقدي ، فن يخاطب الذات ، وهي بالتالي متروكة لنفسية القارىء واحاسيسه . وهي في الحقيقة ليست كذلك .

اقر بان القصة ، ككل اثر فني ، تعتمد في فهمها وتذوقها على ذاتية الناقد ومختلف تأثراته النفسية . فكما ان القصة ، وهي عمل ابداعي ، ملتصقة اشد الالتصاق بذات الفنان وانطباعاته الذاتية ، كذلك الناقد ، ودوره الابداعي لا يقل عن دور الخلاق ، يتعلق ايضا بذاته . ان عملية النقد عملية انسانية محضة . انها تصدر عن ذات حية ، فالى اي شيء يراها تتجه ؟ اليست الى ذات اخرى تتلقاها وتنفعل بها انفعالا قد يتعدى حدود الاحساس ليشمل الذات بمختلف ابعادها الحسية والشعورية والفكرية ؟ من هنا كان العمل الفني ـ ومنه النقدي ـ غير العمل العلمي ولذا كانت نتائجه متباينة اشد التباين .

وانا لا انكر بان هنالك قواعد يمكن ان يعتمدها الناقد ، ولكن ليس من الضروري على الاطلاق ان يبقى اسيرا لها . لا شك ان على الناقد ان يتثقف ويطلع على مختلف النظريات وتطبيق تلك النظريات فيهضمها . ولكن اذا ما برز امامه الاثر الذي سينقده فيجب ان يكون ذهنه خاليا من كل شيء ، من كل انفعال مسبق او نظرية مستوردة. ان انطباعاته الشخصية وصدى ثقافته ومعلوماته التي صقلت نفسه ومزاجه صقلا اصبحت فيه شيئا لا ينفصل ولا يتجزأ من نفسه هي وحدها التي يجب ان تبقى وان تقيّم . ان الفنان حر في ان يستقي معينه من نفسه ، من احاسيسه وانفعالاته الفكرية ، فلماذا لا يكون الناقد حرا ايضا في تقييم اثره من خلال نفسه هو ؟ ولماذا يطلب القاص ان لا اتمسك بشخصيتي الذاتية وانا انقد قصصه ؟ لعله لم يستطع ان يميز بين ان يحتفظ الناقد بشخصيته وبين ان يكون مجردا . ان التجرد غير اثبات الشخصية . ولو نفينا ابراز التأثير الذاتي لدى الناقد لما تقدم النقد ، ولكانت قواعده ثابتة الى اليوم من عهد ارسطو دون زيادة او نقصان ، ولما برزت آثار ادبية كثيرة حكم عليها نقاد بالعدم ثم اتى نقاد اخرون فوضعوها بين شوامخ الآثار الانسانية . ان الفن مغامرة ، ولعلها اصعب مغامرة يقوم بها الانسان وعليه ان يتحمل نتائج مغامرته تلك . وعلى الناقد ان يتحمل ايضا مسؤولية قوله . ولكن اثبات شخصيته يبقى ضروريا . اننا في عصر يقيم للفرد ولآرائه وزنا . ويجب ان يشمل هذا التقييم مختلف الميادين .ونحن في وضعنا الراهن في اشد الحاجة الى ذلك ، الى التجديد في النقد وطرح القوالب المسبقة لتجاري الركب الخلاق فلا يبقى النقد متخلفا عن الاثار الادبية نفسها . اما ما قد يلحق الفنان من غبن ـ وهذا ليس بالغريب ـ فيمكن ان يرده عن نفسه بالمناقشة الحرة التي تنبع من ضميره . وبهذا التفاعل يبقى ما هو صالح للبقاء ويندثر الغث منه .

ثم انني ارى تناقضا في موقف الاستاذ نير . فهو يشكو من كون الناقد يعتمد على ذاته ولا يتجرد ، ثم يدعوني في نهاية كلمته ان اعود الى قصص له اخرى حكم عليها « كتاب عرب كبار ونقاد بارزون بتوفر النفس القصصي» وانا اقول بان ذلك لا يهمني على الاطلاق ولا اتقيد وانا اعود الى قراءة قصتك من جديد برأي مسبق عن قصص اخرى قد يكون فيها ذلك النفس وقد لا يكون . ولكن هل يحتم وجود ذلك النفس في قصص اخرى وجوده في هذه القصة بالذات ؟ كنت انتظر شواهد على عدم تفهمي وتذوقي القصة وليست شهادة نقاد اخرين وبقصص اخرى شهادة مرضية علمية .

ثم انني ما أزال على رأيي في ان القصة تفتقد ذلك الخط اللاملحوظ الذي يربط بين الاثر الفني والقارىء والذي قد يتعذر على الناقد ان يدل عليه . انه شيء يحسه ينفعل به ، هذا « الشيء » هو الشعور المبدئي الذي يوحيه الجمال فيسعى الناقد من بعده الى تحليل عناصره واسبابه ومكامنه . هذا الشيء هو الذي احسه الجاحظ في الشعر حين قال بان الشعر لا يترجم .. واذا ترجم سقط موضع التعجب منه . وهذا الموضع هو الذي عبر عنه فيما بعد نقاد فرنسا بكلمة Inéffable او الذي لا يعبر عنه. وان كنت على يقين بان ما يتطلبه الشعر هو غير متطلبات القصة ، فان شيئا ما يظل يجمع بينهما وهو هذا الشيء الجميل الذي نعجز ان نعبر عنه . واول متطلبات القصة ان توحي ، ان تجذب القارىء ، ان تجعله اسير جوها يتنفس مع ابطالها ويشاركهم حيانهم . وهذا ما لم تحققه قصة « النور بالثمن » .

كذلك لست من المؤمنين بان كثرة المناقشات الفكرية والاحداث هي التي تعطي القصة حيويتها ، بل ذلك يضعفها ويقتل الحيوية فيها ، فالمعول في ذلك مقدرة الفنان ، فقد يرتفع بهذه المناقشة الى مستوى رفيع من التصوير والتأثير فيأتي اثره خالدا . ان ذلك متوقف على صدق التجربة والاحساس الفني.

وآسف اشد الاسف لعدم تمكني من فهم واحساس قصة «النور بالثمن»

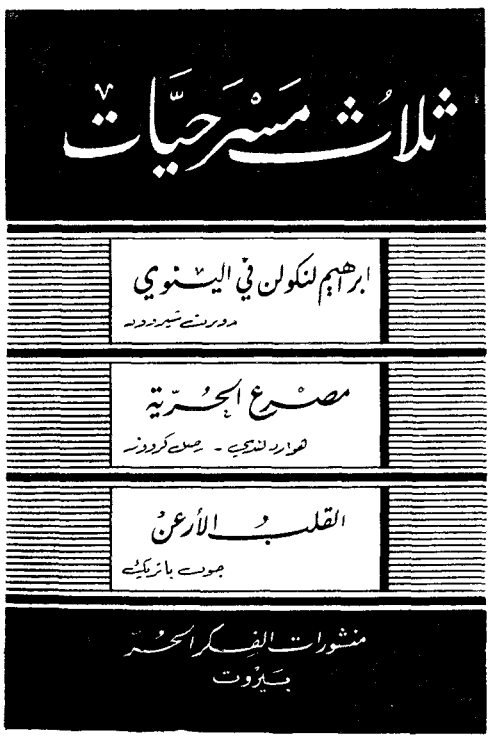

يباع اليوم في جميع المكتبات الروايات الثلاث المسرحية التي تعتبر من خير ما انتجه الادب المسرحي في العصر الحاضر . ٣٠٠ ص ٣٠٠ ق الموزعون شركة فرج الله بيروت

التي وضعها المؤلف بانها ذات العقدة المنفلشة وليست من نوع القصص ذات العقدة المحكمة . ان وجود العقدة او عدمها لا يجعل من القصة قصة، وكذلك احكامها او انفلاشها . ان هذه النظرة الى تقسيم العقدة وتقييم القصص على اساسها نظرة « منفلشة » دون ريب !

عائدة مطرجي ادريس

حول «المقدرة السلبية في النقد»

بقلم صادق البكار

قرأت في باب مناقشات « العدد العاشر من الاداب » تعليقا للسيد حسان منير حول نقد القصص للاستاذ صدقي اسماعيل « بعنوان المقدرة السلبية في النقد » . ولقد ادهشني فعلا كون التعليق منقولا برمته عن كتاب « مرآة النفس لليونيل تريلينغ ، ترجمة الدكتور سليم سلامه »

يبدأ التعليق بعبارة « تتميز القصة الحديثة اليوم بقوى معينة من الادراك الحانق تحولت الى هذا الجزء اللاواعي من الثقافة فجعلته في متناول الفكر الواعي » واصل العبارة كما وردت في « المقدمة ص ١٠ » : « ان الذات العصرية تتميزبقوى معينة من البصيرة الحانقة تحولت الى هذا الجزء اللاواعي من الثقافة فجعلته في متناول الفكر الواعي » . والعبارة التي تلي العبارة الاولى في التعليق : « وقد يظن ان ذلك يعني ان لاتعنى القصة الحديثة بالافكار وان القصاص المبدع بمنجاة من حكم العقل الصحيح » منقولة عن الكتاب « ص ٤٢ » . والعبارة : « انالوسيلة الوحيدة لتقوية العقل هي عقد النية على لاشيء وجعل الذهن طريقا عاما لجميع الافكار لالنخبة مختارة » منقولة عن « ص ٤٢ » ايضا . ثم « الامور يجب ان تجري كما تجري في الحياة حيث الكثير منها لايجري قط بذات الاسلوب .. ان الناقد يرى ان القصاص كلما توغل في النادر والغريب زداد غموضا وتعتنا » منقولة عن « ص ٩١ » .ويتابع : « قد يكون الحافز على هذا القول استنارة عقلية جديرة بالاحترام الا انه لايسعنا التجاوب معها في هذه الايام ، فنحن نهوى الغريب النادر ، ولا نتجاوب مع المألوف المبتذل في الادب او لعل علاقتنا بالمبتذل معقدة على الاقل ، فقد نرغب في شيء من عناصر الابتذال في لغة الشعر والادب عموما ، على ان يبلغ حد التطرف والتهويل ، بحيث يخدم كحد اقصى امكانيات الحياة اليومية وبالاختصار نرضى بالمبتذل متى قارب الغريب النادر واندمج فيه » منقولة عن « ص ٩٢ » . ثم : « لقد امتاز بكونه تحليلا سيكولوجيا للغة ، وهذا اسلوب نافع لولا ان الادب لحظات لاتبوح بسر قوتها الى دراسة لغوية ، لان تلك القوة لاتعتمد على اللغة ، بل على الخيال الادبي . عندما نطالع ... » نقلت عن « ص ٧٨ » .. ويتابع « اي شيء يستطيع ان يوضح سلطان هذه اللحظات علينا ؟ بل وحتى عندما نستحسن التعبير اللفظي عن تلك المشاعر لايسعنا ان نعالج لغته بالتحليل لان التعبير انما كان حقيقة ادبية لا منطقا سيكولوجيا » عن « ص ٧٨ » . ثم « ان ميزة فن النقد هي قوته واندفاعه بحيث تنبخر الاشياء البغيضة بسبب قربها من الجمال والحقيقة » عن « ص ٤٣ » . والعبارة الاخيرة في التعليق : « يجب ان يجمع بين حكم الاداب وحكم الذوق والجمال » منقولة عن « ص ١١ » .. وهنالك تراكيب متفرقة نقلت عن الكتاب نفسه ، « ان يظلوا قانعين بنصف المعرفة » « ص ٤٣ » . « تصدم عقل المثقف ...» « ص ٤٤ .. الخ ... »

وينسب كاتب التعليق ماستشهد به « انهم رجال اذكياء .. عن محاولة لعثور عليها » (الى الهلال ١٩٤٦) والحقيقة ان ذلك قد ورد « ص ٤٣ » . من الكتاب بصيغة المفرد .. وبقية التعليق ترداد للتعابير التي وردت في نقد الاستاذ صدقي اسماعيل للقصص . وترداد ايضا لعبارات سالارويه ، فاضل السباعي ، وزكريا تامر . وماذا يبقى للسيد حسان منير ؟.. لا شيء . ولست بصدد مناقشة الاراء الواردة ، فانها عامة بحيث انه استعملها للقصة في حين استعملها كاتبها الاصلي كمعايير تنطبق على اشياء اخرى . مثلا استبدل كلمة « الذات العصرية » ص ٢٠ ، بكلمة « القصة الحديثة » ، وكلمة « الشعر » في « قد يظن البعض .. الشعر بالافكار » ص ٤٢ ، بكلمة « القصة الحديثة » ..الخ.

واحبا ن اختتم كلمتي بايضاح ان المقدرة السلبية في النقد تعني رفض التقيد بحكم نهائي ومثال على الاندفاع في نظرية الجدل في بحث المسائل الكبرى « مرآة النفس ص ٤٠ » ولا ادري مدى انطباق ذلك على نقد الاستاذ صدقي الذي يكن القراء لارائه كل احترام وتقدير .

هذا واتمنى على الدكتور سهيل ادريس كقارىء يثق « بالاداب » نشر كلمتي هذه ليكون في ذلك تبيان كاف للحقيقة .

صادق البكار

دوما